المقـــدمة

يظل البشر – رغم اختلاف نظريات تطور المجتمعات وإصلاحها ، ورغم تباين أيديولوجيات النهوض والتقدم لهذه المجتمعات – هم العصب الأساسى للحراك المجتمعى على اختلاف أصعدته : السياسية والاجتماعية والاقتصادية والمحلية والقومية والعالمية .. يمثلون بؤرة هذا الحراك وعدته الأساسية فى رسم غد أفضل ومستقبل أكثر إشراقا لمجتمعاتهم ..

ومما لا شك فيه أن المكفوفين هم جزء من الرصيد البشرى ، الذى يتشكل فى أى مجتمع إنسانى .. ومن ثم ، فإن أى نظرة متحضرة صائبة إلى هذه الفئة تجعلهم فى موضع متميز من الاعتبار والتقدير المتمثلين فى إدراك المجتمع الذى يضمهم لحق الرعاية والعناية ، بواقعهم البشرى من جهة وتقديرا لما فرضته عليهم الأقدار من إعاقة البصر ؛ الأمر الذى يجعلهم أحق وأولى بهذه العناية والرعاية من جهة أخرى ..

من هنا .. جاءت زاوية المحور الذى ينطلق منه هذا المؤلف الضخم بدراساته الثلاث عشرة ، لتحقق فى نهاية الأمر .. اعترافا وتخطيطا وتنفيذا لما سبقها من دراسات فى هذا الصدد ؛ إذ لوحظ أن أغلب ما وجه إلى هذه الفئة من المجتمع .. كان لا يزيد عن دراسات وبحوث ومقالات منفصلة كأنها جزر متباعدة ، لا يقوم بينها رابط ، ولا تحقق صلات فيما بينها ؛ مما قد يساعد على استشفاف الرؤية التكاملية التى ترسخ لمفهوم «وحدوية المعرفة» وتؤكد فى الوقت نفسه ضرورة اعتبار المنظور الكلى فى تناول هموم ومشكلات وقضايا هذه الفئة من المجتمع ..

جاءت هذه الدراسة لتعترف ببساطة ودون مبالغة بالقصور الذى شاب بعض الدراسات السابقة فى هذا الصدد ، متمثلا فى ارتباطها بنظرة أحادية ضيقة لا تستلهم رؤية إجمالية أو تروم نظرة كلية شاملة متعمقة .. وجاءت تؤكد – فى جل مكوناتها – على التوضيح والتفسير الكافيين للإطار النظرى لما تناقشه من قضايا ، ثم إتباعه بالإطار

العملى التخطيطى والتنفيذى ، المستند – فى أغلب مواضعه – إلى الدراسات التجريبية والإحصائية التى تؤكد ما ذهبت إليه آراء وفروض الإطار النظرى الخاص بكل دراسة ..

وقد حاولت الدراسة فى عرضها – كما سيتبين للقارئ – الاستناد ، قدر استطاعتها ، فى معالجة المفهوم الشامل لإعادة تأهيل الكفيف ليصبح قوة بشرية مضافة بقوة وفاعلية ، لا أن يصبح كما عدديا مضافا فحسب ، ومتخما بما قد يشكله عن عوائق ومشكلات تعرقل مسيرة المجتمع .. حاولت الدراسة الاستناد إلى الترتيب الزمنى فى حياة الكفيف .. فاستهلت مصنفها بأربع دراسات تتناول الطفل الكفيف من حيث تنمية المفاهيم والرعاية الاجتماعية والنضج الخلقى .. حتى وقفت به على أعتاب مرحلة المدرسة ..

ثم جاءت دراستان تاليتان ترتكزان على الكفيف فى مرحلة المراهقة . وتناولت فى الدراسات ، من السابعة إلى العاشرة ، إشكالية الدمج بين الكفيف والمبصر ودور الابتكارية والإنتاجية فى حياة الكفيف ومدى ارتباط ذلك بالسلوك التفاعلى للكفيف .

وكان من الاستجابة الطبيعية للرؤية الشاملة ، أن تأتى الدراسة الحادية عشرة تتناول بعدا غير مطروق من قبل – فيما صدر من مؤلفات مشابهة – إذ تناولت الحياة الزوجية للكفيف .. ثم قدمت الدراسة رؤية معاصرة ، استلهمت فيها خلاصة تجارب المؤلف فيما يتصل بتربية وتأهيل الكفيف ..

واختتمت الدراسة خلاصة فكرها فى الدراسة الأخيرة ، التى جاءت لتوضح هذه الرؤية الوحدوية المانعة الجامعة فى أنها تترسم خطى إدارة الحياة – بمفهومها الشامل – لدى الكفيف ..

إن هذا العمل الضخم الذى بين أيدينا يأتى ترجمة واعية لقضية من أشد قضايا الساعة أهمية وضرورة .. راسما الطريق الأمثل لتمويل فئة من المجتمع – بكل ما قد يبدو على السطح من مشكلاتها ومعوقاتها وعرقلتها للتنمية – إلى قوة دافعة مؤثرة ومضيفة لكل من التقدم والنهوض المجتمعى والسلام الاجتماعى فى أدق صوره .

تصـــدير

الإنسان الراقى يرضى رضاء قانعا بقدره ... فيسعى جاهدا بعناية الله ثم بسعيه المستمر نحو ما يحقق له التكيف الكامل بين نفسه والمجتمع المحيط به . ثم هو أيضا يواصل شوطا جديدا فى الحياة بالمعاناة السامية التى تمكنه من قهر العجز والتفاعل الحى مع البيئة والحياة بجوانبها المنوعة ومعطياتها المتعددة .

وعندما صدر الميثاق العالمى لحقوق المعوقين ، كانت بداية إرشادية فى تاريخ التأهيل العضوى والنفسى لكل صاحب إعاقة عضوية ... وانطلاقا من هذه المبادئ الأساسية التى أعلنها الميثاق العالمى فى الثمانينات لحقوق المعوقين ، واعترافا بأن قدرة الدول على اتخاذ أعمال ومهام لمنع العجز وإعادة التأهيل تختلف طبقا لأولوياتها القومية ومدى إتاحة الموارد الضرورية .. فإن إعادة التأهيل على المستوى الدولى تعلن الأهداف ، التى تمثل باعثا للعمل الإيجابى ومرشدا فى مجال التأهيل والتوجه .

وإذا كانت الإعاقة العضوية تمثل مجموعة من الآلام أو العوائق عند البعض .. فإن هذا الأمر لا يفيد أن هؤلاء (ضحايا شقية) لمجموعة من الظروف أو المقادير ، بل هم فى الحقيقة كائنات خلقية واعية تملك من القوة ما تستطيع معه تغيير ظروفها والتأثير على مقاديرها ... وسواء أكانت تلك الظروف داخلية أم خارجية ، فإن فى وسعنا بأمر الله التحكم فى تلك الظروف أو العمل على تغيير حدتها .

ولعل هذا هو المبدأ الخلقى الذى يرتكز عليه المركز النموذجى لرعاية وتوجيه المكفوفين .. ذلك المركز الذى أخذ على عاتقه تأهيل ورعاية الكفيف فى مصرنا الغالية بل امتد هذا الاهتمام إلى العالم العربى وكل المؤسسات التى تعنى بتأهيل

الكفيف بوصفه يمثل ذلك « الحضن الاجتماعى » ، الذى يتناول قضايا الكفيف بالرعاية والاهتمام ؛ معتمدا على توفيق الله ثم المنهج العلمى فى أمر تقديم الخدمات التأهيلية .

وكانت البحوث والدراسات التى قام بها المركز النموذجى لرعاية وتوجيه المكفوفين فى شأن تأهيل وإرشاد الكفيف تمثل جانبا من أهم الجوانب ، التى أخذت الكثير من اهتمام مجلس الإدارة للمركز ، ودفعتهم ككوكبة رائدة فى مجال العمل التطوعى إلى إرساء قواعد المنهج العلمى فى عملية التأهيل ؛ فظهرت البحوث العلمية تحت إشراف الأستاذ الدكتور سيد صبحى ، على مدار سنوات البعثات الدراسية التخصصية لإعداد وتأهيل معلم الكفيف على المستوى المحلى والعربى ... فخرجت البحوث العلمية التى تناولت حياة الكفيف وتدريبه وتوافقه النفسى والاجتماعى ، وما يتطلبه من برامج لتنمية قدراته المهنية والمعرفية ومهاراته الحركية ، حتى شملت حياته الزوجية مرورا بدور المنزل والمدرسة بوصفهما من أهم مؤسسات التطبيع الاجتماعى .

ولم تقتصر البحوث على ذلك بل تناولت الكفيف منذ طفولته الباكرة من خلال « الحضانة النموذجية » التى قدمها المركز النموذجى خدمة للطفل الكفيف مع دراسة جادة لأولياء الأمور أولئك ، الذين نعتبرهم همزة الوصل الموجبة بين ما يقدم من برامج تأهيلية نموذجية لأطفالهم ، ومتابعتهم الحانية الواعية للخدمات التأهيلية التى يقدمها المركز النموذجى لرعاية وتوجيه المكفوفين .

نقدم هذه الدراسات ونحن نؤمن بإذن الله أنها سوف تلقى مزيدا من الضوء على ضرورة تأهيل وإرشاد الكفيف إلى جانب أنها خدمة علمية لكل من يهتم بدراسة الكفيف على مستوى طلاب البحوث والدراسات العليا بالجامعات المصرية والعربية ، وكذلك كل المراكز والمؤسسات التى تهتم بالكفيف ورعايته .

ولما كان البحث العلمى هو بمعنى ما من المعانى اجتهاد واستفهام وتساؤل ... فإن الأخطاء لابد وأن تحدث فى مضمار البحث العلمى وعلينا ألا نضيع الوقت فى مجرد تصيد الأخطاء ، أو تعرف من يقع عليه وزر هذه الأخطاء ... بل ينبغى أن نركز اهتمامنا وجهدنا على تحديد من الذى سينال فخر تصحيح الأخطاء .

والحمد لله والشكر على نعمة العقل والفكر .. تلك النعمة التى تجعلنا ، إلى جانب عظيم نعمائه الأخرى ، نتوجه إليه سبحانه وتعالى شاكرين طائعين .

ويا رب إن ظهرت المحاسن منى فبفضلك ولك المنة على ، وإن ظهرت المساوئ منى فأنت سبحانك منزه عن ذلك ولك الحجة على ، والله يوفق الجميع لما فيه خير أنفسهم والبحث العلمى وكل ما يحقق الخير للكفيف ... ولمصرنا الغالية .

أ. د. سيد صبحى

أستاذ الصحة النفسية

وعميد كلية التربية النوعية الأسبق

جامعة عين شمس

٢٠٠٢/٢/٩

شكر وتقدير

أقدم خالص شكرى وتقديرى إلى السادة أعضاء مجلس إدارة المركز النموذجى لرعاية وتوجيه المكفوفين ، الذين يؤدون رسالتهم السامية فى تأهيل وإرشاد المكفوفين ويرسمون بخيوط الأمل المشرق لوحة الرعاية المعبرة عن الجهد الراقى الواعى والحانى للكفيف .

خالص الشكر لجهودهم المخلصة التى ترسل بفضل الله بصيصا من الأمل ؛ ليشع نوره فى سويداء القلوب والشكر والتقدير للأخ الأستاذ مصطفى كمال عبد اللطيف مدير المركز النموذجى لرعاية وتوجيه المكفوفين ووكيل وزارة الشئون الاجتماعية الأسبق رائدا يبذل قصارى الجهد فى تنمية الكفيف وتأهيله ، وإلى كل العاملين بالمركز النموذجى لرعاية وتوجيه المكفوفين وأعضاء البعثة الداخلية لإعداد معلم الكفيف كوكبة رائعة مؤمنة بالعمل « التطوعى » ابتغاء مرضاة الله . والشكر واجب إلى روح الزميل الأستاذ حمزة الفيشى ، المشرف العام على البعثة الداخلية لإعداد وتأهيل معلم الكفيف ، وما زالت روحه الطاهرة تحوم حولنا لتعلن عن إسهامه وفاعليته ومساعدته أثناء إجراء البحوث .. كما نقدم الشكر للجهود المخلصة لإدارة التربية الخاصة بوزارة التربية والتعليم .

وغاية الشكر وعظيمه للدار المصرية اللبنانية صاحبة الأداء المتميز ، والرائد فى طبيعة إصداراتها ، وعلى رأسها الناشر محمد رشاد ، على تلك اللمحة الإنسانية العظيمة ، فى أن يوقف كل قدراته وإمكاناته على نشر هذا العمل الإنسانى الضخم ، والإحساس العميق بأنها رسالة مقدمة نحو فئة غالية من أعظم ثرواتنا .. ألا وهى فئة

المكفوفين ، أصحاب هذا العمل فى المقام الأول .. فله جزيل الشكر .. ولا غرو على من يحمل قضايا أمته وهمومه فى عقله ووجدانه ..

ونسأل الله للجميع الصحة والعافية وطول العمر وللمركز النموذجى لرعاية وتوجيه المكفوفين كل تقدم ونماء .

والله من وراء القصد ...

أ. د. سيد صبحى